فلسفة التربية والتعليم عند الحكماء في المراكز الأكاديمية المعاصرة

الدكتور

ايمن عبد الخالق المصري

رئيس أكاديمية الحكمة العقلية

مقدمة

يدور البحث حول بيان فلسفة التعليم والتربية عند الحكماء العقليين الإلهيين الذين اعتمدوا على المنهج العقلي البرهاني الميتافيزيقي في تحقيق بحوثهم الفلسفية والايديولوجية،ومقارنته بالمنهج الأكاديمي المعاصر والهدف من تدوين البحث هو بيان مذهب الحكماء في التعليم والتربية،وهو المذهب الصحيح والواقعي في نظرنا؛لأنه قائم على أساس المنهج العقلي البرهاني السليم،من أجل إحياءه من جديد،بعد أن تبنت المراكز العلمية الأكاديمية المعاصرة في البلدان العربية والإسلامية مذهبا آخر مباينا بل مقابلا له في التربية والتعليم يقوم على أساس المنهج الحسي الذي فرضه علينا الغرب المادي.

تتجلى أهمية هذا البحث في أن مسألة التربية والتعليم هي من أهم وظائف المجتمع البشري التي تتم بها فلسفة الاجتماع،والتي تقع في طريق استكمال الإنسان في هذه الحياة الدنيا،وفي صلاحها و فسادها صلاح المجتمع وفساده،حيث تُشكل عملية التربية والتعليم المنظومة العلمية والأخلاقية للإنسان،التي تنعكس بدورها على سلوكه على المستويين الفردي والاجتماعي،وتُعين مصيره في هذه الحياة وما بعدها.

وسوف نستعرض مسائل هذا البحث في ستة فصول متتالية:

الأول – بيان تميز المنهج العقلي عن سائر المناهج التحقيقية الأخرى من حيث كونه المنهج التحقيقي الوحيد الموصل للواقع بنحو يقيني ثابت ومطلق

الثاني – الرؤية الكونية للحكماء عن حقيقة الإنسان ومبدأه ومعاده

الثالث – فلسفة التربية والتعليم عند الحكماء بناء على رؤيتهم الكونية في كون الإنسان حيوان عاقل،وأن نفسه العاقلة المجردة عن المادة،والتي تُمثل حقيقة الإنسان قد

تعلقت منذ حدوثها ببدنه المادي،والذي يُعد آلة لاستكمال النفس الفاقدة لكل كمال ثانوي حين نشوئها،كما ثبت ذلك في الفلسفة الإلهية وفلسفة التعليم عند الحكماء تكمن في تكميل العقل النظري،وفلسفة التربية في تكميل العقل العملي.

الرابع – بحث مقارن بين المنهج التعليمي التربوي عند الحكماء والمنهج المعاصرالمعتمد في الدراسات الأكاديمية

الخامس – العواقب الوخيمة المترتبة على إقصاء المنهج العقلي من الدراسات الأكاديمية

الفصل الأول

المنهج المعرفي عند الحكماء

نظرا لغياب لغة التفاهم العقلي وهجر المصطلحات المنطقية المشهورة في التراث العقلي الإنسانى ،واستبدالها باصطلاحات خطابية ومجازية فضفاضة ومشتركة،وذلك بسبب هيمنة الاتجاه الحسي المادي على المراكز الجامعية والأكاديمية في الشرق والغرب،والذي قطع علاقته العلمية والفكرية بالكلية مع تراثه الإنسانى العقلي مع بداية عصر الحداثة؛لأسباب سياسية وايديولوجية لامحل لذكرها هنا،واستحدث قاموسا جديدا من المصطلحات الفكرية المباينة في المعنى مع المصطلحات المشهورة السابقة في المنطق الأرسطيومن جهة أخرى ونتيجة لهيمنة الاتجاه النقلى الإخباري على أغلب المعاهد والمدارس الدينية منذ قديم الزمان وإقصاء المنطق والعلوم العقلية عن ساحة التعليم الديني ،فقد أصبح من العسير طرح أي بحث فكري عقلي أصيل بدون تحديد مصطلحاته ومفرداتهوحتى لا يساء فهم البحث عمدنا إلى تقديم هذه المقدمة المنطقية لبيان المصطلحات الواردة ضمن التعرض للمبادئ التصورية للبحث، وهي تتعلق بمحورين، محور منطقي في عملية التفكير أو النشاط العقلي ومحورمعرفي في الفكر أو معطيات عملية التفكير ونتائجها:

المحور الأول: التفكير

نقول: لا ريب أن الإنسان يتميز عن سائر المخلوقات بكونه كائن مفكر بطبعة، والتفكير عبارة عن نشاط ذهني تقوم به القوة العقلية لتوليد الفكر بجميع صوره ومستوياته،

ولمزيد من التعرف على طبيعة هذه العمليات العقلية والمسماة بالتفكير، ينبغي الإشارة لعدة أمور:

أولا - مراتب الإدراك:

الإدراك الإنساني له مراتب أربع[١] هي:

١- المرتبة الأولى: مرتبة الإدراك الحسي

حيث يدرك الذهن البشري الصوروالهيئات المتعلقة بالأجسام من الأشكال والألوان والطعوم والروائح والأصوات والكيفيات اللمسية كالحرارة والبرودةكل هذه يدركها الإنسان بواسطة الجوارح الخمس التي هي السمع والبصر والشم والذوق واللمس،والتي تتصل مباشرة أو بواسطة الهواء بالأجسام الخارجية، وتنقل أحوالها للنفس عن طريق الأعصاب والدماغ، ولذلك يكون بقاء الصور الحسية في الذهن مرهونا ببقاء اتصالها بالمحسوس في الخارج، بحيث اذا فقدنا الاتصال بالشيء المحسوس لغيابه بسبب صغره او بُعده مثلا او لفقدان الة الحس فقدنا امكانية ادراكه حسا.

والحس في الواقع وكما ثابت أمين في نقله وليس بحاكم ، بمعنى انه ناقل لحال الاشياء على ما هي عليها في ضمن شرائط الحس فينقل ما كان كبيرا ضمن شرائط كبيراً وينقل ما كان صغيراً في ضمن شرائط صغيراً، واذا اتفق بان نقل ما كان كبيراً في واقعه صغيراً كما في ادراكنا حسا للكواكب بالعين المجردة فليس لخطأ في الادراك الحسي بل لتغير ظروف الادراك حيث ان الكواكبَ بعيدةٌ عنا،و دور الرؤيا هنا نقل صورة الكواكب كما هي ظاهرةٌ للعين في ضمن ظرف بعدها لا انها تحكم عليها واقعا وفي نفس امرها انها صغيرة.

واما الحكم عليها بانها في الواقع كبيرةٌ او صغيرةٌ فهذا امر غير راجع للحس اذ ليس من شأن الحس الحكم أصلا بل هوأمر راجع للعقل حصرا ومختص به دون سائر القوى والعقل على ما نحن عليه من المثال قد يخطأ لاهماله حيثية البعد مثلا[٢].

وبالتالي لامعنى لكونه مخطأ أو مصيبا،بل ينقل الأشياء كما وقعت عليه في الخارج،وإنما العقل هو الذى قد يخطأ عند عدم مراعاته قواعد التفكير الصحيح،ويصحح أخطائه الحسية

بعد ذك بالاستعانة بالحس ايضا،كمعرفته بعد ذلك أن الشمس كبيرة وأن حجمها اضعاف أضعاف حجم الكرة الأرضية،وليست صغيرة كما تبدوا لنا.

ولكن علينا أن نعلم أن دائرة إدراك الحس إنما تكون فى حريم العوارض المادية فقط،و،والتى تتصل بها، كما ثبت فى الفلسفة،ولايمكن أن تتعدى حدودها إلى باطن الطبيعة فضلا عما وراءها،وهو المسمى بعالم الغيب

كما أن التجربة الحسية المعتمدة على تكرار المشاهدات الحسية كذلك لاتتعدى ظاهرعالم الطبيعة المادي،ولايمكن الاعتماد عليها فى البحوث التجريدية المتعلقة بالفكر الإنسانى كما ثبت في محله

٢ ـ المرتبة الثانية: مرتبة الإدراك الخيالي

في هذه المرتبة يدرك الذهن أيضا الصوروالهيئات الجسمية التي سبق وأن أدركها الحس وزالت عن مرتبة الحس غير أنها حفظت في الخيال، فله أن يستدعيها ويشاهدها متى شاء ذلك ،حتى بعد غيبة المحسوس، وانقطاع الاتصال معه، وهذا هو الذي يميزه عن الإدراك الحسي.

ويعتمد الإنسان على الخيال فى مجال الأدب والدراما والرسم والموسيقى ،وسائر الفنون القريبة من الحس ،و لا مدخلية له أيضا في العلوم الفكرية العقلية الإنسانية

المرتبة الثالثة : مرتبة الإدراك الوهمي.

وهي المرتبة التي تَدرك فيها النفس المعاني غير المحسوسة الموجودة في المحسوسات المادية إدراكاً جزئياً متعلقاً بهذه المحسوسات وبالقياس إليها،مثل حب الأم والأب،وعداوة الذئب للأغنام

المرتبة الرابعة: مرتبة الإدراك العقلي للمعاني العامة الكلية المجردة عن التجسم والعوارض الجسمانية

كمعنى العدل والحريةوالكرامة والإنسانية، هذه المعاني الكلية تسمى بالمعقولات، بإزاء المحسوسات والمتخيلات وهذه المرتبة الرابعة تسمى بالتعقلوهي التي تميز الإنسان عن سائر الحيوانات.

وبعد بيان مراتب الإدراك الأربع نقول: إن حركة الذهن عند الإنسان قد تكون في الصور الحسية، كالمشاهدات الحسية المتتالية، وقد تكون في الصور الخيالية كتخيل صور الحوادث الماضية، وقد تكون في الصور الوهمية وقد تكون في صور المعقولات الكلية.وهذه الحركة الإرادية في المعقولات الذهنية يسميها الحكماء بالتفكير، وهي حركة تبدأ من المعلومات الحاصلة في الذهن عندنا بقصد تحصيل المعلومات المجهولة عنا، ومن هنا يتبين أن عملية التفكير تهدف إلى اكتساب المجهول بالمعلوم وبالتالي إنتاج وتوليد الفكر الإنساني.

وهذه الحركة التفكيرية كظاهرة طبيعية، محكومة كغيرها من الظواهر الطبيعية في العالم بقوانين وقواعد علمية طبيعية،قد تم اكتشافها وتدوينها في علم المنطق على يد المعلم والفيلسوف الأول(أرسطو)فى القرن الرابع قبل الميلاد[٣].

ثانيا ـ قانون التفكيرالطبيعي:

للتفكير قانون طبيعي تكويني يهتدي إليه الإنسان عند التأمل بفطرته ،ولا يغيب هذا القانون إلا بسبب موروثات ثقافية وتربوية خاطئة أوأنس الإنسان الشديد بالمحسوسات ،أو ميله الغريزي إلى التحرر من أي قيد ،أوالتمرد على القانون ،فلا يهتم بمراعاة القوانين الفكرية لأنه يريد أن يحلق بخياله ووهمه الشخصي وأنسه العرفي فيسقط في مستنقع الانحراف والضلال الفكري.

وهذا كما لو أنه لم يراع القوانين الفيزيائية فيروم التحليق في الفضاء فيقذف نفسه من مرتفع شاهق فالنتيجة تكون معلومة سلفا.

فللتفكير قواعد وقوانين طبيعية، ولم يكن دور المعلم الأول أرسطو إلا اكتشاف هذه القواعد من طبيعة التفكير الإنساني وفسيولوجية عمل العقل كما سنبين ذلك في البحث عن آلية التفكير المنطقي، فمثله كمثل الطبيب الذي اكتشف فسيولوجية عمل الدماغ أو المخ بالتحليل العلمي الدقيق والمشاهدات القطعية، فليس لنا بعد ذلك أن نقول إن هذه هي وجهة نظره التي يريد أن يفرضها علينا.

وللأسف نرى أن بعض المفكرين الغربيين ومن تابعهم من المثقفين الشرقيين قد توهموا أن هذه القواعد والأصول المنطقية قد تقادمت،وبطل مفعولها العلمي وأنها تمثل وجهة نظر

أرسطو الخاصة به في طريقة التفكير وأنهم غير ملزمين بها، فلكل مفكر طريقته الخاصة في التفكير دون أي قيود تفرض من الغير

وهذا وهم كبير والذي يدل على توهمهم هذا ،أنهم حين يستدلون على صحة كلامهم أو ينتقدون المنطق الأرسطي،تراهم يعتمدون نفس الآليات المتبعة في صناعة المنطق والتي أشار إليها أرسطو، فهم ينتقدون المنطق بنفس المنطق دون شعور منهم.

وهؤلاء في الحقيقة إما أن لا يكون لديهم إطلاع على المنطق الأرسطي كما هو الغالب الملحوظ من تحليلاتهم وانتقاداتهم العجيبة، وإما أن يكونوا من العبثيين الذين يريدون الفرار من الرقابة العقلية أوالتمرد والخروج على القانون بحيث لا يحاسبهم أحد على ما يقولون.

فينبغي الالتزام بالقانون التفكيري ومحاكمة أفكارنا على طبقه، وإلا فمع فقدان ميزان الفكر وقانون التفكير ،فلامعنى للبحث العلمي أو الحوار الفكري أصلا.

وليست هذه دعوة للتقليد الأعمى بل الباب مازال مفتوحا أمام المزيد من التحقيق والتطوير في هذه القواعد المنطقية العريقة والدقيقة بشرط أن نسلك الطريق العلمي الموضوعي.

ثالثا ـ تحليل آلية التفكير المنطقي:

حتى تحصل عملية التفكير لابد من تحقق عنصرين، الأول: بمثابة المقتضي [٤]للحركة التفكيرية وهو جهل يعيه المفكر، والثاني: بمثابة الشرط للحركة التفكيرية وهي معلومات مسبقة.

أما العنصر الأول: فان الإنسان لا يتحرك ذهنه ما لم يعلم أن لديه جهل إما بإدراك وفهم معنى ما، ويسمى بالجهل التصوري؛ لأنه عدم تصور لذلك الشيء، أو جهل بصحة أو كذب خبر ما، ويسمى جهلا تصديقيا، لأنه عدم الحكم بصحة أو كذب الخبر، وهذه حالة الشك التي يمكن أن يمر بها الإنسان.

أما إذا لم يعلم بجهله، فلا يكون هناك مقتض للحركة التفكيرية، لأنه لا يعلم أنه لا يعلم ؛ وهذا ما يسمى بالجهل المركب.

أما العنصر الثاني: فإن الذهن بعد علمه بالجهل لا يتحرك ما لم تتوفر لديه معلومات مسبقة مناسبة لذلك المجهول، فإن كان المجهول تصوريا فلابد من توفر معلومات تصورية كي

يؤلف منها معلوما تصوريا كاسبا للمجهول التصوري، ويطلق عليه (المُعرف)، وإن كان المجهول تصديقيا فلابد من توفر معلومات تصديقية كي يؤلف منها معلوما تصديقيا كاسبا للمجهول التصديقي، وهو المسمى بـ (بالدليل).

وهذه الحركة التفكيرية لاكتساب المجهول التصورى أو التصديقى كأي حركة صناعية مؤلفة من حركتين، حركة أولى لتجميع المعلومات الملائمة للمطلوب، والتى هي بمثابة المواد الخام الأولية للصناعة، وحركة ثانية لترتيب هذه المعلومات على الصورة والهيئة الصحيحة المناسبة للمطلوب وبهذا يتضح أن التفكير عبارة عن حركة تجميع وترتيب معلومات تصورية لتحصيل معلوم تصوري كاسب للمجهول التصوري أو معلومات تصديقية لتحصيل معلوم تصديقي كاسب للمجهول التصديقي.

و هذا التجميع والترتيب الذهني تنتج عنه الصورة او الهيئة التاليفية للمواد سواء كانت صورة او هيئة تاليفية في التصورات والتي هي المعرف او كاسب التصور اذ التعريف له صور عدة من حد تام وناقص ورسم تام وناقص.

او تنتج عنه صورة او هيئة تاليفية للمواد في التصديقات والتي هي الدليل على ما تقدمت الاشارة اليه اذ الدليل كما في بحث القياس اما ان يكون قياسا على هيئة الشكل الاول او على هيئة الشكل الثاني او الثالث او الرابع ،او يكون استقراءا او تمثيلا.

وهذه الصور المؤلفة انما هي نقش على عرش وهي المواد والمعلومات التصورية اوالقضايا والمعلومات التصديقية المرتكزة عندنا،وعندها يمكن ان يقال ان الخطأ اما ان يقع في مرحلة الترتيب الصوري وتاليف الهيئات او يقع في مرحلة المواد والمعلومات المسبقة المرتكزة عندنا كما هو عليه الحال في الحرف و الصناعات الخارجية فالمنزل المقام قد يكون فيه خطأ من جهة الماد المستعملة فيه كردائة المواد المشيد منها او من جهة الصورة والهيئة التي انشئ عليها.

وكما أن الخطأ في الصناعة قد يقع من جهة المادة(كالمواد الرديئة)أو من جهة الصورة(كالصورة المشوهة أوالمعوجة) كذلك يقع الخطأ في التفكير من جهة طبيعةالمادة المعلوماتية أو من جهة الصورة التأليفية لهذه المعلومات ومن أجل ذلك فقد مست الحاجة

إلى تدوين علم يشتمل على القوانين الكلية المتعلقة ببيان كيفية تجميع وانتخاب المعلومات المناسبة للمطلوب الممثلة للمادة الاساس لبناء ما يناسب المطلوب ،ولنسميه بالمنطق المادي، وعلم يشتمل على بيان القوانين الكلية لترتيب المعلومات على الصورة الصحيحة والهيئة التاليفية الخادمة للوصول الى المطلوب ، ويسمى بالمنطق الصورى فالمنطق علم يتعلم فيه كيفية اكتساب المجهول التصوري والتصديقي مادة وصورة بنحو صحيح وبطبيعة الحال فإن أي حركة قد تخرج عن مسارها الطبيعي إذا لم تحكم بقانون معين، فحركة القمر مثلا حول الأرض في مسار محدد بحكم قانون فيزيائي، وفي حال انعدامه أو تغيره سوف تخرج هذه الحركة عن مسارها وتصبح حركة عشوائية قد تحدث كوارث كونية هائلة، كذلك الحركة التفكيرية لتحصيل العلوم التصورية أو التصديقية، لابد أن تحكم بقانون لئلا تخرج عن مسارها الذي ينبغي أن يكون موصلا للنتائج العلمية المطلوبة وبدونها سوف ننتهي إلى مفاسد فكرية وعلمية وسلوكية كبيرة، علما ان وقوع الخطأ في التفكير الانساني لا ينكره عاقل مستوي الفكر و له شواهد وادلة عدة لاتخفى على متامل واوضح الشواهد ان ثمة اعتقادات متناقضة يعتقدها الناس في مسألة واحدة وهي على حدي نقيض بين السلب والايجاب والوجود والعدم ،والحال لا يمكن الاعتقاد والتصديق بجميعها اذ ببداهة التفكير ان النقيضين لا يجتمعان والمطلب طويل الذيل ليس المحل لبسطه.

ثم إن هناك باب كبير في المنطق نتعلم فيه كيفية الاستدلال الصوري بأنحاءه الثلاثة،القياس والاستقراء والتمثيل، وقد تبين هناك أن صورة الدليل القياسي مولدة بالضرورة للنتيجة بشرط مراعاة الشرائط العامة والخاص هناك،فعلى سبيل المثال،إذا قلنا اب وكل ب ج فقطعا تكون النتيجة هى اج

أما صورة الاستدلال الاستقرائي والتمثيلي فلايفيدان إلا الظن دون اليقين أما المنطق المادي،وهو القسم الأهم في صناعة المنطق الأرسطي ، فيتبين فيه مناهج وأنماط متعددة في التفكير يعبر عنها بالصناعات الخمس التى تمثل أنحاء الاستدلالات المختلفة بلحاظ مواد القضايا المستعملة فيها ،مع اشتراكها جميعا في صورة القياس ،فكل صناعة من هذه الصناعات انما هي قياس في صورتها الا ان هذه الصورة من القياس قد تسمى برهانا وقد

تسمى مغالطة او خطابة وهكذا تبعا لنوع المادة والقضايا المستعملة في صورة القياس المفيدة للغاية المطلوبة المرادة للقائس .

فمثلا صناعة البرهان تستعمل فيها القضايا البينة الصادقة البديهية التي لا تحتاج في نفسها ان يستدل عليها بل صدقها ذاتي منها كقولنا الكل اعظم من الجزء او النقيضان لا يجتمعان،أو لكل حادث سبب؛اذ الغاية من القياس تحصيل الحق والواقع،وصناعة الجدل تستعمل فيها القضايا المشهورة والمسلمة لغرض إفحام الخصم وإظهار الغلبة عليه بغض النظرعن كونها مطابقة للواقع او غير مطابقة للواقع، وتستعمل في صناعة الخطابة المقبولات والمظنونات لغرض إقناع الجمهور واستمالتهم، وتستعمل في صناعة الشعر القضايا المخيلة لغرض تحريك المشاعر انقباضا أو انبساطا، وفي صناعة المغالطة تستعمل القضايا الوهمية المشبهة من أجل التضليل والخداع.

وعلى كل حال فليس أمام الطالبين للمعارف الحقة الواقعية والفكر الصحيح إلا سلوك المنهج البرهاني (صناعة البرهان) التى هى ثمرة البحث المنطقي، وهذا هو المعبر عنه بالمنهج العقلي والذي نعتمده في بحوثنا في هذا الكتاب أساسا ومنطلقا في صياغة المنظومة الفكرية الإنسانية بجميع أبعادها بما فيها النظام السياسي الذي هو محل بحثنا بالذات.

وإنما كان المنهج العقلي البرهاني هو المعتمد في ذلك لأنه منهج يقوم على أساس معلومات بديهية يقينية صادقة بالذات، ويؤلف على هيئة وصورة قياسية فطرية لا تقبل الخطأ مطلقا.

ولتحديد معنى العقل البرهاني فمن المستحسن أن نتعرض لمعاني واطلاقات العقل في بعض الاستعمالات توقيا من حصول خلط مع ما نعنيه.

معاني العقل:

(العقل لغة الحجر والنهى، يقال رجل عاقل أي جامع لأمره ورأيه، وهو مأخوذ منالعقال يقال: عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، لذا قيل:العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه، والعقل التثبت في الأمور، والعقل القلب،وقيل: العقل التمييز

الذي به يتميز الإنسان عن سائر الحيوان، وقد يقال للعقل معقول، رجل ما له معقول أي ما له عقل)[٥].

أقول إن تعريف العقل في اللغة بالحجر والنهي ؛لأنه يمنع صاحبه وينهاه عن الوقوع في الخطأالذي غالبا ماينشأ من الجهل أو اتباع الهوى

كما يظهر من معناه أنه قيد يمنع صاحبه من الانطلاق والاندفاع وراء أوهامه وأهواءه المنبعثة دائما من الحس والخيال

وهذا المعنى على خلاف مايتوهمه الحداثوين واليبراليون من أن العقلانية تعنى التحررمن كل قيد،كما أن تسمية العقل بالقلب في بعض الأحيان بحسب اللغة يمنع ماذهب إليه اصحاب الاتجاه النقلي والإشراقي من تفسير القلب المذكور في الايات والروايات بشئ آخر مباين للعقل

هذا بحسب اللغة ،أما بحسب الاصطلاح،فله عدة اطلاقات:

الأول:هو الجوهر المجرد عن المادة ذاتا وفعلا،وربما يسمى بالملك في مصطلح الشرع

الثاني :أنه قوة مدركة مفكرة ومميزة عند الإنسان

وقد ورد هذان المعنيان في رسائل إخوان الصفا،قالوا:[٦]

(واعلم يا أخي أن العقل اسم مشترك يقال على معنيين: أحدهما ما تشير به الفلاسفة إلى أنه أول موجود اخترعه الباري، جلّ و عز، و هو جوهر بسيط روحاني محيط بالأشياء كلّها إحاطة روحانية. و المعنى الآخر ما يشير به جمهور الناس إلى أنه قوة من قوى النفس الإنسانية التي فعلها التفكّر و الرويّة و النّطق و التمييز و الصنائع و ما شاكلها)

الثالث: ورد أيضا اطلاق اسم العقل على جوهر النفس الناطقة التى تمثل حقيقة الإنسان في كلام الكندي والفارابي وابن سينا:

قال الكندي(العقل فينا جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها)[٧]

قال الفارابي(إن القوة العاقلة، جوهر بسيط مقارن للمادة، تبقى بعد موت البدن، وهو جوهر أحدي وهو الإنسان على الحقيقة)[٨]

وكذلك ابن سينا قال(لا شك أن نوع الحيوان الناطق يتميز من غير الناطق بقوة بها يتمكن من تصور المعقولات وهذه القوة هي المسماة بالنفس النطقية)[٩]

أقول :لاشك أن اطلاق اسم القوى العاقلة على النفس هو نحو من التجوز،من باب إنها هي العاقلة في الحقيقة،ولكن بقواها،وقوى النفس غير النفس وهى قائمة بها،وخادمة لها:

قال ابن سينا في الشفاء: (في أفعال القوة المصورة والمفكرة من هذه الحواس الباطنة .... إنه سنبين بعد أن هذه القوى كلهالنفس واحدة،وأنها خوادم للنفس)[١٠]

كما أشارفي نفس المصدر بصراحة حيث قال بعد بيان قسمى العقل كما سيأتي(والعقل العملي محتاج في أفعاله كلها إلى البدن وإلى القوى البدنية،وأما العقل النظري فإن له حاجة ما إلى البدن وإلى قواه لكن لادائما ومن كل وجه،بل قد يستغني بذاته،وليس لاواحد منهما هو النفس الإنسانية،بل النفس هو الشئ الذي له هذه القوى)[١١]

الرابع: قد يطلق العقل على إدراكاته،كما جاء على لسان الفقهاء والمتكلمين

قال الغزالي(العقل علم ضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات)[١٢]

وهو استعمال مجازي أيضا بتسمية الشئ باسم متعلقه

وهناك معاني أخرى للعقل لاداع للإطالة بذكرها،حيث إن المقصود لنا هنا من العقل بنحو عام هو القوة العقلية للنفس الناطقة الإنسانية المدركة للكليات بنفسها،وللجزئيات بغيرها

ويمكن توضيح مراتب العقل الادراكي من خلال بيان أنحاء أحكامه المختلفة:

إن العقل الإدراكي بمعناه العام هو الحاكم الأول والأخير في مملكة الإنسان ، وهو قد يحكم بنفسه كحكمه بأن النقيضين لا يجتمعان أو أن الحوادث لها أسباب، وقد يحكم بالاستعانة بغيره من الأدوات المعرفية كالحس في حكمه بطلوع الشمس أو بالتجربة كحكمه بأن الأسبرين مسكن للألم، أو بالاستعانة بالنصوص الدينية والتاريخية، كحكمه بأن الصلاة واجبة، وأن المسلمين انتصروا في معركة بدر مثلا.

ومن هنا يتضح أن جميع المناهج التفكيرية هي عقلية بهذا المعنى العام.

وباعتبار آخر فإن أحكامه قد تكون قطعية، وقد تكون ظنية، وفي حكمه القطعي قد يصيب الواقع وقد يخطئه، وبالتالي فالحكم القطعي العقلي قد يكون صادقا، وقد يكون كاذبا، والحكم العقلي القطعي الكاذب يسمى بالجهل المركب، لأنه جهل بالواقع، وجهل بالجهل.

أما الحكم العقلي القطعي الصادق فقد يكون قابلاً للتغير والتزلزل عند القاطع في المستقبل، ويسمى بشبه اليقين كاعتقاد بعض العوام الصحيح؛ لأنه ليس لديهم برهان عقلي على هذا الاعتقاد بل حصل لديهم للشهرة والتقليد أو لقول من يثقون به وبكلامه وقد اتفق أن كان صحيحاً، فهذا اليقين يكون في معرض التزلزل لأنه ليس من أسبابه الموضوعية(objective)، بل أسباب ذاتية نفسية(subjective).

وقد لا يكون قابلا للتغير والتزلزل بل يكون ثابتا، ويسمى باليقين بالمعنى الأخص، وإنما كان ثابتا لأنه حصل من أسبابه الموضوعية الذاتية ؛ فإنه يقوم على أساس بديهيات وقضايا تحليلية لا يشك فيها إطلاقا، لذا فإن حجيته ذاتية، أي أنه لا يحتاج إلى ما يثبت قيمته العلمية لحصولها من نفسه،وهذه هى أعلى وأرقى مراتب العقل

والعقل في هذه المرتبة يسمى بالعقل البرهاني الخاص، وهو ما نعنيه في نظرنا بأنه الأساس والمعيار في بناء المنظومة الفكرية للفرد والمجتمع.

رابعا ـ حدود العقل البرهاني:

بعد أن بينا الحجية الذاتية المستقلة للعقل البرهانى،ينبغى علينا أن نبحث عن حدوده التى لايمكن له أن يتجاوزها وعن حريمه الذى يحكم فيه بنحو مستقل ومطلق،ومن البديهي أن معرفة هذه الحدود إنما تكون فقط على عهدة نفس هذا العقل،حيث لايمكن من الناحية المنطقية أن نحكم عليه بحكم مرتبة عقلية أدون منه ،كالعقل العرفى أو الحسي أو النقلي أو الذوقي؛لأن السافل لايحكم على العالي

ومن الجدير بالذكر إن هذه الحدود ليست حدودا اعتبارية يمكن أن تزيد وتنقص بالاعتبار،بل هى حدود تكوينية ذاتية له، فنقول من رأس:

إن لأحكام العقل البرهاني حدود يعرفها بنفسه، وهي في إطار الموضوعات الكلية الحقيقية المتحققة في الواقع فقط، مثل الإنسان والحيوان والنبات والمعادن، أما الموضوعات الشخصية

المادية المتغيرة مثل حسن وحسين، وكذلك الموضوعات الاعتبارية كموضوعات الأحكام الشرعية مثل الصلاة والزكاة والصيام،أو الأحكام الوضعية كقوانين المرور والضرائب وغيرها،فلا سبيل للحكم العقلي البرهاني إليها بنفسه

والموضوعات الكلية الحقيقية هي فى حريم أحكام العقل البرهاني،وهى على نحوين ،إما أن يدركها بنفسه كسائر الأحكام الفلسفية الكلية،وإما أن يدركها بمعونة الحس أو التجربة كالأحكام الرياضية أوالأحكام المتعلقة بالعلوم الطبيعية.

أما الموضوعات الجزئية المتغيرة فإنها خارجة عن حدود دائرة العقل البرهاني لتغير أحوالها من لونها ومكانها وأوضاعها و...، فلا يمكن للعقل البرهاني التوصل إليها بنفسه ،حيث لايجري البرهان بالذات في القضايا الجزئية المتغيرة

أما الموضوعات الاعتبارية، من قبيل موضوعات الشريعة والقانون، فإن ملاكاتها أو حدودها الوسطى بيد المعتبر لها وليس للعقل البرهانى معرفتها بنفسه.

وهذه المنطقة الخارجة عن حدود العقل البرهاني، نسميها بمنطقة الفراغ العقلي، وهى منطقة واسعة وخطرة لأنها غير محمية بالعقل البرهانى ويحتاج العقل الإدراكي فيها إلى اعتماد أدوات معرفية أخرى يدله عليها العقل البرهاني كالمشاهدة الحسية مثلا للموضوعات الشخصية المادية ، والوحي السماوي للموضوعات الاعتبارية وأحكامها الشرعية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية كما سيأتى بيانه،إن شاء الله تعالى.

فالحاصل إن العقل البرهاني له قيمة علمية ذاتية، ويفيد النتائج العلمية القطعية المطلقة الصادقة والثابتة، ولكن له حريمه الخاص، وهذا ما ينبغي اتخاذه ميزانا ومعيارا لكشف الحقائق، لأنه يحكم بنحو قطعي لا يتزلزل ويعرف حدوده ويعرف حدود غيره من الأدوات المعرفية الأخرى، فلا يطغي في أحكامه ويمنع من طغيان المناهج الأخرى بعضها على بعض، وهذا هو الحكيم الحاكم الذي يضع الأشياء في مواضعها.

ومن أجل التعرف على المزيد عن علاقة العقل البرهانى بسائر المناهج المعرفية الأخرى ،وكيفية تشكيل الحكومة العقلية فليراجع كتاب أصول المعرفة والمنهج العقلي[١٣]

ولكن ينبغي الإشارة هنا إلى أن عصمة الميزان البرهاني لاتستلزم عصمة المبرهن بمعنى ان نفس صناعة البرهان وان كانت في نفسها من حيث الصورة والمادة منتجة لليقين المطابق للواقع الا ان ذلك لا يلزمه صحة ما برهن عليه المبرهن دائما[١٤]،ولكن لو سأل سائل إذن مافائدة عصمة الميزان،فنقول:

أولا – إن المستعمل المتخصص للبرهان كالحكماء والفلاسفة ،وإن لم يُعصم دائما عن الخطأ، ولكنه سيُعصم في أغلب الأحيان،وهذا هو الفرق بين المتخصص وغيره

ثانيا – إن لم يكن هناك ميزان معصوم يُحتكم إليه ،فلايمكن لأي إنسان أن يعرف الصواب في نفسه مطلقا ،ولا يمكن أن نخطأ أحدا مطلقا،كما لا يُمكن أن يكون هناك بحث علمي أو حوار فكرى بنّاء على الإطلاق ،وهذه هى السفسطة عينها .

المحور الثاني: الفكر

أما الفكر الإنساني فهو مجموع العلوم والمعارف التي اكتسبها الإنسان من خلال عملية التفكير، سواء كان تفكيرا صحيحا أو غير صحيح. ويمكننا تحليل أي فكر إلى ثلاثة مستويات مترابطة:

الأول: المستوى المنهجي المعرفي

وهو المنهج المعرفي الذي يعتمده الانسان يمثل اسلوبا وطريقا لبناء صرح منظومته الفكرية ويعتمد عليه ابتداء في التعرف على الواقع الموجود،وبتعبير اخر يمكن القول ان المنهج المعرفي هو الطريقة التفكيرية التي يعتمدها الباحث في بحثه محاولا من خلاله ادراك الواقعيات على ما هي عليها ، ويتضمن المنهج المعرفي مناهجا عدة بحسب ما توصلت اليه المعرفة الانسانية الى يومنا هذا كالمنهج الحسي الاستقرائي أو التجريبي الذي يقتصر عليه الحسيون الماديون والمنهج العقلي البرهاني الذي يعتمده الحكماء، والمنهج النقلي الذي يقتصر عليه أصحاب الاتجاه السلفي الإخباري، والمنهج الإشراقي القلبي الذي يعول عليه أصحاب الاتجاه الصوفي العرفاني .

ويمثل المنهج المعرفي أهم أجزاء الفكر الإنساني لاسباب عدة منها انه يشكل الأساس والمنطلق الاول لعملية التفكير والتحقيق في الابحاث العلمية اذ لا يمكن لانسان ان يتقصى

حقيقة من الحقائق من دون ان يكون قد خط له طريقا في كيفية التعامل معها واستكشاف واقعها والا كان بحثه بحثا عقيما غير موصلا الى نتيجة يرتضيها العقلاء والمفكرون.

ومنها انه يمثل المحور والقطب الذي يبني عليه الإنسان منظومته الفكرية والعقائدية بحيث اما ان يؤثر سلبا او ايجابا على مصير عقيدته ورؤيته الكونية،لذا ومن هذا المنطلق قيل ان باختلاف المناهج المعرفية تختلف بطبيعة الحال الآراء والأفكار والمذاهب الفكرية والدينية.

ومنها انه دافع ومبعد للمحقق عن المغريات الخارجية والدوافع النفسية والمواريث العلمية بحيث اذا خط الباحث له منهجا وقد اوصله الى نتائج ما فانه يقبلها دون ادنى تردد لاعتقاده بصحة ما هو سائر عليه.

ومنها انه يمثل فيصلا وحكما ومرجعا عند اختلاف وجهات النظر وبدونه التوصل الى حل الخلاف دونه خرط القتاد .

وهذا المقام المعرفي ،وللأسف الشديد يجهله أو يغفل عنه أكثر المفكرين،وهو مهمل في أكثر مباحثنا الفكرية،حيث يحاول كل مفكر أن يستدل على أراءه ومعتقداته الاعتقادية أو الايديولوجية بمنهجه المعرفي الخاص به،دون أن يستدل على صحة هذا المنهج أولا،ويتوهم أنه معني فقط بالاستدلال لاغير ،وهو غافل عن أن الذى يعتمد على دليل غير معتبر في مورده كمن لادليل له

الثاني: المستوى الفلسفي

وهو المقام الثاني في الفكر ،والحاصل من استعمال المنهج المعرفي المعتمد عند الإنسان في النظر إلى الواقع والحياة والإنسان والعالم المحيط به

فالفكر الفلسفي هوالمتعلق بالرؤية الكونية الكلية النظرية حول الإنسان والعالم والمبدأ والمنتهى، أو بعبارة أخرى يتعلق بكل ما هو كائن وموجود بالفعل في الواقع.

وقد تكون الرؤية الكونية مادية لا تؤمن بمبدأ ولامعاد إلهي كما عليه الفكر المادي حيث منطلق فكرهم النظري واسلوبهم العملي انما هو منكب على نظريات ومسائل عملية تصب في منفعة هذه النشأة دون النظر الى غيرها بل ان غيرها غير موجود بحسب اعتقادهم وما

ذلك إلا لأنهم أسسوا رؤية كونية قائمة على أساس عدم الايمان بوجود ما هو غير مادي ، وقد تكون إلهية على عكس ذلك، سواء كانت فلسفية أو إخبارية نصية أو عرفانية صوفية، وتشكل أصول الفكر أو الاعتقاد.

وهذه الرؤية الكونية الفلسفية موجودة لدي كل إنسان ، وإن كان ربما يغفل عنها في كثير من الأحيان أيضا أثناء بحثه الايديولوجي كما سيأتى ،ويتوهم عدم الارتباط بينهما،على الرغم أنها تتحكم وتؤثر بنحو كبير في فكره العملي وتنعكس بعد ذلك على ممارساته السلوكية

الثالث: المستوى الإيديولوجي

وهو المتعلق بالنظام التشريعي العَملي عند الإنسان على المستوى الفردي والاجتماعي وبعبارة أخرى يتعلق بما ينبغي أن يكون عليه الإنسان والمجتمع في سلوكياته، حيث يشتمل على النظام الأخلاقي والاجتماعي والسياسي، ويسمى بفروع الفكر أو الاعتقاد.

والجدير بالذكر، أن هذه الأجزاء الثلاثة للفكر بينها ارتباط سببي وثيق حيث يؤثر المنهج المعرفي على طبيعة الرؤية الكونية، التي تنعكس بدورها على الإيديولوجية والنظام التشريعي القيمي في الفكر الإنساني ،والذي ينعكس بدوره على مستوى الممارسة والسلوك الاختياري للإنسان والمجتمع البشري .

فمثلا من اعتمد على المنهج الحسي التجريبي(imperical) فسوف تتشكل لديه رؤية كونية مادية غير دينية ،حيث إن الدين يتعلق في مبادئه بأمور غيبية من المبدأ الإلهي والوحي السماوي والمعاد بعد الموت،وهى كلها أمور لا يمكن إدراكها بالحس أو التجربة الحسية،وبالتالي فلا يمكن أن يعتقد هذا الإنسان الحسي بالأمور الغيبية أو بمبدأ ومعاد إلهيين ،بل بمبدأ ومعاد ماديين ،أي من التراب وإلى التراب.

وهذه الرؤية الكونية المادية سوف تقتضي بطبيعة الحال أيديولوجية علمانية متحررة عن القيم الدينية والأحكام الشرعية.

وعلى العكس من ذلك لو اعتمد الإنسان على العقل البرهانى فسوف تتولد لديه رؤية إلهية وإيديولوجية دينية شرعية.

فالفكر الإنساني إذن عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات تمثل مبادئ الفعل الاختياري[١٥]لدى الإنسان فتؤثر على سلوكه العملي وتعين مصيره الوجودي، وترسم له طريق السعادة أو الشقاء.

ومن أجل ذلك كله فقد اعتمد الحكماء بنحو حصري على المنهج العقلي البرهاني الموضوعي في التعرف على الواقع،وبناء رؤيتهم الكونية النظرية ،وايديولوجيتهم العملية القيمية،للوصول إلى منظومة معرفية متكاملة،ومنسجمة مع الواقع الموضوعي؛لتكون منطلقا آمنا لسلوك الإنسان في هذه الحياة الدنيا،ولنحقيق السعادة الحقيقية.

أما المنهج المعرفي في مراكزنا الأكاديمية فهو المنهج الحسي الاستقرائي الذي وضع أساسه المفكر الانجليزي (فرنسيس بيكون) في القرن السابع عشر الميلادي،وسماه بالمنهج العلمي الجديد،واعتمده كأساس للمنهج الدراسي الأكاديمي،ورفض المنهج العقلي البرهاني الميتافيزيقي[١٦].

الفصل الثاني

الرؤية الكونية عند الحكماء

الرؤية الكونية هي النظرة الكلية للإنسان الباحثة عن حقيقة الإنسان والعالم والمبدأ والمنتهى،فهي نظرة فلسفية عامة تتعلق بالإجابة عن الأسئلة الثلاثة:من أين؟وفي أين؟،وإلى أين؟

وتشكل هذه الرؤية الكونية الأصل الأول في الفكر الإنساني،الذي ينطلق منه لتأسيس ايديولوجيته العملية،والتي ستنعكس بدورها على ممارساته السلوكية في الحياة وقد ثبت في الحكمة الإلهية أن للإنسان مبدأ إلهي حكيم خلقه في أحسن تقويم،وأنه راجع إلى مبدأه الإلهي بعد الموت ليحيا حياة أخرى يحاسب فيها على أفعاله الاختيارية في هذه الحياة الدنيا.

وثبت أيضا في علم النفس الفلسفي أن الإنسان مركب من نفس ناطقة مجردة عن المادة،ومتعلقة ببدنها العنصري،الذي هو مجرد آلة لاستكمالها[١٧].

والإنسان يأتي إلى هذه الحياة الدنيا ونفسه كصفحة بيضاء ليس فيها أي كمال،ثم تبدأ النفس باستعمال حواسها المختلفة في كسب الصوروالمعلومات الكثيرة عما يدور من حولها

من الأشياء،ثم تنتقل بعد ذلك إلى العقل ليقوم بتجريدها عن عوارضها المادية ،ويحولها إلى معان كلية معقولة،ثم يقوم بعد ذلك بتحليلها وتصنيفها وتركيبها للحصول على معلومات جديدة في مسائل العلوم المختلفة

ولذلك فإن الحس يُعد هو المبدأ الأول للعلوم ،وقد أشار أرسطو إلى ذلك بقوله المشهور(من فقد حسا فقد علما)،فمن لم يُحس بالبياض مثلا فلن يدرك معنى البياض.

وقد أثبت الحكماء أيضا أن لعقل الإنسان قوتين،قوة نظرية وظيفتها الإدراك العقلي،وتُسمى بالعقل النظري،وقوة عملية وظيفتها تدبير البدن الذي هو آلة استكمالها،وتسمى بالعقل العملي.

ويقتضي البحث هنا أن نقف قليلا بنحو من التفصيل أمام النظر في أحوال العقل النظري والعملي،حيث إن فلسفة التعليم والتربية عند الحكماء تتضح من خلال التعرف عليهما

فنقول:إن العقل النظري عندهم هو المدرك للمعاني الكلية بذاته،وأحكامه قد تكون يقينية وقد تكون ظنية،وأيضا قد تكون صادقة وقد تكون كاذبة،ولذلك فقد مست الحاجة لعلم المنطق لضبط هذه الأحكام وترشيدها

وكمال العقل النظري عندهم في تحصيله للعلوم والمعارف الصادقة المطابقة للواقع،بحيث يصير عالما علميا مطابقا للعالم العيني،وهذا الكمال إنما يتحقق بالتعليم،لاسيما بالعلوم العقلية الحقيقية(١٨) .

اما العقل العملي،فبيان وظيفته المتعلقة بتدبير البدن فتحتاج إلى مقدمة تمهيدية

فنقول:إن للنفس قوتين حيوانيتين لحفظ البدن،إحداهما لجلب النفع له وتسمى بالقوة الشهوية،والأخرى لدفع الضرر،وتسمى بالقوة الغضبية،وقد تم وضعهما بمقتضى العناية الإلهية تحت سيطرة العقل العملي؛ليقوم بترشيد افعالهما في حفظ البدن بما لاينافي أحكام العقل النظري.

ومقدرة العقل العملي على إخضاع تلك القوتين له ،إنما يتوقف على الملكات الأخلاقية المكتسبة بالأفعال الاختيارية،فالملكات الفاضلة تقويه ،والملكات الرذيلة تضعفه وكمال

العقل العملي في تحصيل ملكة العدالة التى تمكنه من السيطرة على تلك القوتين،وإنما يتحقق ذلك عن طريق التربية[١٩].

أما الرؤية الكونية الأكاديمية الحديثة،فهي رؤية مادية،ترى الإنسان ذا بعد مادي واحد،ليس له مبدأ إلهي ولامعاد،فهو من التراب وإلي التراب،وقد انعكس ذلك على فلسفته في التعليم والتربية،كما سيأتي ذكره.

الفصل الثالث

فلسفة التربية والتعليم عند الحكماء،وفي المراكز الأكاديمية المعاصرة

قد تبين في الفصل السابق،أن الغرض من التعليم عند الحكماء بناء على رؤيتهم الكونية للإنسان هو في تقوية العقل النظري الذي يمثل حقيقة الإنسانية،وذلك بتحصيل العلوم والمعارف الواقعية عن الإنسان والعالم والمبدأ والمعاد،حيث تُعد تلك العلوم خير زاد له في الحياة الدنيا وفي الاخرة أما في الدنيا فمن ناحية أنها تعطيه الرؤية الصحيحة عن نفسه وعن فلسفة الحياة التى يعيشها في هذا العالم،مما يمكنه من أن يرسم لنفسه البرنامج المتكامل والمنسجم مع فطرته ومع الواقع الذي يحيط به،مما يضمن له السعادة الحقيقية واما في الآخرة فمن جهة أنها تضمن له الاعتقاد الديني الصحيح الذي يؤهله لدخول الجنة ولنيل السعادة الأبدية

وغايتهم من التربية تكمن في تحصيل الملكات الأخلاقية الفاضلة من العفة والشجاعة والحكمة،والتي في مجموعها تُمثل ملكة العدالة الإنسانية التي تصدر عنها الأفعال الاختيارية الحسنة التي تؤهله لتحصيل الكمالات الواقعية والسعادة الحقيقية في الدنيا والاخرة أما فلسفة التربية والتعليم في المدارس والجامعات،فهي تخضع لرؤية كونية مادية قائمة على اساس منهج حسي استقرائي كما ذكرنا.

فالغاية من التعليم هو التعرف على الأسباب المادية القريبة للظواهر الطبيعية،بهدف تسخير الطبيعة للمصالح المادية للإنسان،أي بما يخدم القوى الشهوية والغضبية لاغير[٢٠] .

وأما التربية فهي منحصرة في تحصيل المهارات الفنية والتقنية المتعلقة أيضا بالأمور المادية،ولاعلاقة لها البتة بالملكات الأخلاقية المعنوية

وقد انعكست هذه الفلسفة المادية على طبيعة المنهج الدراسي في المدارس والجامعات كما سيتبن في الفصل الرابع.

الفصل الرابع

المنهج التعليمي التربوي عند الحكماء

من الطبيعي أن يتأثر المنهج التعليمي التربوي عند الحكماء بمنهجهم العقلي الميتافيزيقي ورؤيتهم الكونية الإلهية للعالم والإنسان،وسنتعرض لكلٍ على حده

فبالنسبة للمنهج التعليمي عندهم فالغاية منه كما قلنا هو في تقوية العقل النظري بتحصيل المعارف والعلوم الحقيقية ،والتي على رأسها العلوم العقلية والإلهية

فأول مايبتدأ به المتعلم هو صناعة المنطق العقلي لكي يتعرف من خلاله على قواعد التفكير الصحيح التى تهذب حركة الذهن في المعلومات،وتضمن له الانتقال الآمن والصحيح من المعلوم إلى المجهول،فيتعلم كيف يتصور الأشياء كما هي عليه في الواقع ونفس الأمر،وكيف ينشئ الدليل ويقيم البرهان على المطالب العلمية بنحو صحيح،وكيف ينقض الدليل ويكتشف المغالطات المنطقية.

وبعد أن يتقن الطالب قواعد التفكير الصحيح،ينتقل بعدها إلى علم الهندسة ليطبق عليها هذه القواعد المنطقية وهناك حكمة تعليمية وحكمة تربوية في دراسة الهندسة[٢١] .

فالحكمة التعليمية هي في كون موضوع الهندسة وهو المقدار أمرا محسوسا مما يجعل التحقيق في مسائله أمر سهلا،فيكتسب المتعلم فيه مهارة تطبيق القواعد المنطقية بنحو يسير،ويكتسب الثقة في نفسه وفي صناعة المنطق بعيدا عن الصراعات والمجادلات العلمية.

وأما الحكمة التربوية،فلأن مسائل الهندسة ليست مسائل دينية أو مذهبية مقدسة،فلادور لتأثير الأحكام الذهنية المسبقة،ولامدخلية للعواطف أو الميولات النفسية في تحقيق مسائلة فيبحث الطالب بنحو موضوعي عن الاسباب الذاتية للأشياء وبنحو علمي مجرد عن أي تاثيرات خارجية أو ضغوط نفسانية ،مما يُكسب المتعلم ملكة البحث العلمي الموضوعي.

وبعد الفراغ من علم الهندسة يدرس الطالب علم الطبيعيات الباحث عن أحكام الجسم الطبيعي من حيث الحركة والسكون،وفيه أيضا حكمة تعليمية وأخرى تربوية.

أما الحكمة التعليمية فموضوع العلوم الطبيعية هو الجسم المحسوس بظاهره والمعقول بباطنه،فيمثل مرحلة انتقالية متوسطة بين الهندسة ذات الموضوع المحسوس مطلقا ،وبين الفلسفة الإلهية ذات الموضوع المعقول مطلقا كما سيأتي،وهو ينسجم مع طبيعة التدرج التعليمي،والبناء الطبيعي لذهن المتعلم.

أما الحكمة التربوية من دراسة الطبيعيات،فهو كما قلنا في الهندسة،من أجل اكتساب ملكة البحث العلمي الموضوعي بعيدا عن الضغوط النفسانية والمذهبية لكون موضوعها أيضا غير مقدس.

هذا بالإضافة إلى أن بعض المباحث الطبيعية حول الزمان والمكان والحركة تخالف بعض الاعتقادات العرفية الموجودة في ذهن المتعلم،الأمر الذى يدعو المتعلم للتخلي عنها عند مخالفتها للبحث العلمي،وبالتالى يصبح مستعدا بعد ذلك للتخلي عن اعتقاداته الدينية والمذهبية الخاطئة إذا خالفت البحث الفلسفي [٢٢].

وبعد الانتهاء من البحث الطبيعي،يصبح الطالب مستعدا من الناحية الذهنية والنفسية للدخول إلى البحث الفلسفي الميتافيزيقي،والمسمى بعلم مابعد الطبيعة أي مابعد علم الطبيعة،الذي يبحث عن الموجود المطلق بنحو عقلي محض،فهو بحث عما وراء الطبيعة أيضا في عالم الغيب.

وينقسم البحث الفلسفي إلى قسمين،قسم يتعلق بالبحث العقلي المجرد عن أحكام الموجودات من حيث موجوديتها،والذي يُعتبر مدخلا مهما للقسم الثاني المتعلق بأصول الاعتقاد الديني،والمسمى بقسم الربوبيات .

وفي نهاية البحث الفلسفى تكون قد تكونت لدى الطالب رؤية كونية واقعية شاملة عن الإنسان والعالم والمبدأ والمعاد.

وبنهاية البحث الفلسفي ينتهى البحث النظري في الحكمة النظرية المتعلقة بماهو كائن،وينتقل الطالب إلى البحث الكلي في الحكمة العملية المتعلقة بماينبغي أن يكون،والتي تشمل علم الأخلاق والاجتماع والسياسة[٢٣] .

ومن الواضح أن الحكمة العملية أو الايديولوجية متوقفة على الرؤية الكونية،حيث إن معرفة ماينبغي أن يكون متفرعة عن معرفة ماهو كائن بالفعل،كما أن البدأ بدراسة علم الأخلاق والتعرف على القيم العملية المتعلقة بالإنسان من حيث هو إنسان،يؤهل الطالب بعد ذلك للدخول في علم الاجتماع والسياسة المتعلقين بالقيم العملية على المستوى الاجتماعي.

وبعد الانتهاء من الحكمة العملية يكون الطالب قد استوفى البحث الحكمي بنحو كلي عقلي،وحصّل أصولها وقواعدها العامة،فيمكنه بعد ذلك من أن ينتقل إلى سائر العلوم النظرية والعملية الجزئية،التى تعتمد على مناهج أخري نقلية كالعلوم الشرعية أو التاريخية،أوحسية استقرائية كبعض العلوم التطبيقية والإنسانية،وغيرها.

هذا هو المنهج التعليمي بشكل مجمل لدى الحكماء الإلهيين،والذي يسير على وفق المنهج العقلي البرهاني،والذي يهدف في نهاية المطاف إلى تكميل وتقوية العقل النظري.

أما المنهج التربوي،فهو منهج يعتمد على الأساليب الخطابية والشعرية المحركة للخيال والعاطفة في استفزاز الهمم،وتقوية الإرادات النفسانية من أجل تحصيل الهيئات والملكات الأخلاقية الفاضلة للطالب

وهذه الأساليب تتنوع بين الوعظ والإرشاد،والشعر والرسم والموسيقى،والمسرح وسائر الفنون الدرامية المخيلة،والتي تهدف كلها في النهاية إلى تقوية العقل العملي،وتحصيل ملكة العدالة.

الفصل الخامس

المنهج التعليمي التربوي الأكاديمي المعاصر

يعتمد المنهج الدراسي الأكاديمي المعاصر على المنهج الحسي الاستقرائي بنحو رئيسي في تحقيق مسائله العلمية انطلاقا من رؤيته الكونية وايديولوجيته المادية عن العالم والإنسان.

والهدف الرئيسي من التعليم والبحث العلمي هو التعرف على أسباب الحوادث الطبيعية لتسخير الطبيعة من أجل تأمين المصالح المادية للإنسان في هذا العالم ، أي لأجل جلب النفع المادي له الذي هو مقتضى القوة الشهوية ، ودفع الضرر المادي عنه الذي هو مقتضى القوة الغضبية ، وليس هناك أي عناية بالبحث حول حقائق الأشياء ومبادئها العليا ، وبعبارة أخرى فليس هناك مجال للبحث الميتافيزيقي في نظامها التعليمي ، بل ليس هناك مجال للبحث المنطقي العقلي اللازم لتقنين عملية التفكير ، وترتيب الذهن البشري.

وتطغى العلوم الحسية المادية كالطبيعيات والكيمياء والرياضيات والتاريخ والجغرافيا والفنون المادية والخيالية على المنهج الدراسي حتى ما يسمى عندهم بالعلوم الإنسانية كعلم النفس والاجتماع والتربية ، فهي مبتنية على المنهج الحسي الاستقرائي والرؤية الكونية المادية ، حتى البحث الفلسفي اليتيم عندهم يبحث عنه بنحو تراثي تاريخي يصلح للمتاحف لا للتحقيق العلمي.

ويطغى على الجانب الفكري عندهم الفوضى المعرفية والنزعات التشكيكية والنسبية المقابلة تماما لكمالات العقل النظري وللمنهج العقلي البرهاني الرصين.

أما المنهج التربوي فلاتوجدأي عناية بتقوية العقل العملي أو تهذيب النفوس ، لأنها أمور معنوية لا قيمة لها في ميزان الاعتبار عندهم ،بل تحول مفهوم التربية عندهم في اكتساب المهارات المادية في التعامل والصناعات المهنية الجزئية لاغير.

فنجد طلبة المدارس والجامعات يسعون سعيا حثيثا لتحصيل المدارك العلمية من أجل الحصول على وظائف ومهن تدر عليهم المال ،وتكسبهم المراكز الاجتماعية المرموقة لا غير.

فأضحى طلب العلم في هذا العصر مجرد وسيلة للتنعم بالدنيا لا غير .

الفصل السادس

العواقب الوخيمة المترتبة على النظام التعليمي التربوي المعاصر

وقد ترتب على هذا النظام التعليمي التربوي المادي واللاعقلانيعواقب وخيمة على المستوى الفردي والاجتماعي والسياسي نتيجة ضعف وانحلال العقل النظري والعملي

وطغيان النوازع الحسية المادية وحصول الهيئات النفسية الشريرة في نفوس المتعلمين ، ونذكر منها :

١. الفوضى المعرفية واللامنهجية في التفكير، وظهور السفسطة والاتجاهات التشكيكية المضادة للعقل .
٢. انتشار المذاهب المادية والإلحادية .
٣. انتشار المذاهب الدينية المنحرفة عن المنهج العقلي ، والقائمة على الحس والوهم والخيال ، كالمذاهب الاخبارية السلفية السطحية والصوفية الخرافية .

٤- تحريف المفاهيم والقيم الدينية والعقلية ، واستبدالها بمفاهيم وقيم مضادة لها .
٥- انتشار التهتك والانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي .
٦- التفكك الأسري وانحلال الأواصر العائلية سواء بين الآباء والأبناء أو بين الأزواج.
٧- انتشار الجريمة المنظمة والارهاب الدولي .
٨- سيطرة الأنظمة الشريرة على الجامعات ومراكز البحث العلمي ، وتوجيه مسيرة البحث العلم وتسخيرانجازتها التكنولوجية في خدمة مصالحها الشريرة ، وبما ينافي المصالح العليا للإنسان والمجتمع البشرى ، كانتاج أسلحة الدمار الشامل والأسلحة البيولوجية والكيميائية والاستفادة من التقنيات العلمية في التضليل الإعلامي وترويج الفحشاء والمنكر .
٩- غلبة الاستبداد السياسي وتقييد الحريات المشروعة وسيطرة أصحاب رؤوس الأموال وهيمنة بعض الأفراد أو العوائل على مقدرات المجتمع البشري ، ونهب ثروات الشعوب.
١٠- انتشار الظلم ، وغياب العدالة الاجتماعية .

خاتمة

توصيات علمية هامة

لقد ارتأينا في نهاية البحث ـ تتميماً للفائدة ـ أن ندرج بعض الوصايا العلمية التي لا ينبغي التغافل عنها، وهي:

الأولى: ينبغي على المحافل الفلسفية الغربية المعاصرة ـ إن أرادت أن تتخلص من حيرتها، وتنهض بنفسها وتفكيرها الفلسفي ـ أن تراجع حساباتها من جديد، وأن تتخلى في تفلسفها عن المنهج الحسي التجريبي، لأنه يناسب العلوم الطبيعية والرياضية فقط، وهذا ما أدى بها إلى أن تهوي في مستنقع المادية لعدة قرون.

بل عليها أن تعتمد المنهج العقلي البرهاني، للخروج من هذه الأزمة الفكرية، كما عليها أن تتخلى عن منهجية (اللامنهجية المعرفية) في البحث عن المسائل الإنسانية والمعنوية بلا أي ضابط منطقي، حتى صارت مباحثهم الفلسفية مباحث ذوقية استحسانية مبعثرة، لا تبتنى على أي أصل علمي، ولا تحتكم إلى أي معيار منطقي عقلي، مما أوقعها في الحيرة والتخبط والفوضى الفكرية.

كما نتمنى عليهم أن يرسلوا مفكريهم وعلماءهم إلى الحوزات والمراكز العلمية الفلسفية الإلهيةالمتخصصة في العلوم العقلية ؛للاطلاع عن كثب على المنهج العقلي البرهاني والفلسفة الإسلامية من منابعها الأصيلة، بعيداً عن الخلفيات الخاطئة عن العقل والفلسفة العقلية الإسلامية التي أدخلها في أذهانهم المستشرقون، والتعصبات الدينية والعرقية، وظروفهم السياسية والاجتماعية التي مروا بها، لا سيّما في القرون الوسطى وعصر النهضة.

الثانية: ينبغي على المثقفين والمفكرين العرب، أن يتخلوا عن نظرتهم التقليدية السطحية الخاطئة للمنهج العقلي البرهاني والفلسفة الإسلامية، من خلال النظر إلى المنهج العقلي على أنه قد تقادم وبطل مفعوله العلمي، والنظر إلى الفلسفة الاسلامية كتراث تاريخي تابع للفلسفة اليونانية القديمة.

كما نرجوا أن يتخلصوا من تبعيتهم الفكرية المطلقة للفلسفة الغربية الحديثة، وأن لا ينظروا إلى تراثهم الإسلامي الفلسفي بعيون الفلاسفة الغربيين والمستشرقين، وأن لا يتبنوا كل ما هو وارد من الغرب من دون أي فحص أو تحقيق، أو يلهثوا وراء كل ما هو جديد ومحدث، بغض النظر عن قيمته العلمية، قياساً وجرياً على الأمور المادية، فإن هذا التوجه لا ينتج في نهاية الأمر إلا الالتقاطية وتشويه وتحريف المباني الدينية، وترويج الثقافة الغربية المادية المنحلّة في المجتمعات الإسلامية.

وينبغي لهم ـ لكي يتخلّصوا من ربقة التقليد والتبعية ـ من دراسة المنطق العقلي وكليّات الفلسفة الإسلامية الأصيلة من منابعها الأصيلة، بدلاً من تحصيل ثقافاتهم من الصحف اليومية والمجلات الدورية.

الثالثة: ينبغي للمدارس والجامعات في الدول الإسلامية، أن يتنبهوا إلى أن المنهج التعليمي والتربوي في جميع المدارس والجامعات هو المنهج المادي التجريبي الجديد الذي وضع أساسه (فرنسيس بيكون) و(جون لوك) وغيرهم من المفكرين الغربيين الماديين، وهو ينافي المنهج العقلي والمنهج التعليمي الإسلامي الأصيل في المنهج والغاية، كما أشرنا إلى ذلك في نقد المذهب التجريبي.

هذا المنهج الإسلامي العقلي الإلهي الذي أشار إليه القرآن الكريم، وشيد أركانه رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته الطاهرين، وبيّنه حكماء المسلمين.

فالمنهج التعليمي المعاصر لا يعتني إلاّ بالعلوم الطبيعية والرياضية، كما أنه فارغ تماماً من أوليات العلوم العقلية، والتي هي في الواقع أساس العلوم الإنسانية والدين الإسلامي الأصيل.

وقد تم الاكتفاء بتدريس بعض النصوص الدينية بنحو سطحي وهامشي لا يسمن ولا يغني من جوع، الأمر الذي كان له أكبر الأثر السلبي على نفوس أبنائنا، ومسخ هويتهم الدينية والثقافية واستبدالها بالهوية المادية السطحية المحضة، حتى رأينا ذلك بوضوح في شخصية شبابنا المسلم في الجامعات، ولمسنا معاناتهم من الأمية الدينية الشديدة، وطغيان التوجه المادي الصريح والثقافة الغربية التافهة والسخيفة على الكثير منهم، بل حتى الثلة القليلة من المتدينين منهم ـ الذين يتلبسون بظواهر الدين لا غير ـ نجدهم بعيدين كل البعد عن محتواه وحقيقته.

وليس معنى أسلمة المدارس والجامعات، تكثيف الدروس الدينية أو تعميم المظاهر الإسلامية، بل معناه التغيير الجذري للمنهج التعليمي والتربوي وتصحيح الغاية من طلب العلم، ولا يكون ذلك إلا بإدخال العلوم العقلية من المنطق والمعرفة والفلسفة العقلية الإلهية ـ ولو بنحو مبسط ـ في المناهج الدراسية، حتى يتكون لدى أبنائنا الرؤية الكونية الصحيحة

عن الدين الإسلامي المبين، وحينها سوف يأخذ المنهج التجريبي موقعه المناسب، وتأخذ العلوم الطبيعية والرياضية مسارها الصحيح في خدمة المصالح العليا للإنسانية في بعديها المادي والمعنوي، وإقامة الحضارة البشرية الحقيقية على طبق الحكمة والعناية الإلهية في النظام الأصلح.

الرابعة: ينبغي للحوزات والمعاهد العلمية الدينية في العالم العربي والإسلامي أن تهتم اهتماماً كبيراً بالعلوم العقلية كاهتمامها بالعلوم الشرعية، وتضعها في مقدمات مناهجها العلمية؛ لأنها تشكل أساس العقيدة الإسلامية الصحيحة ،وأن تتجنب بشدة المسالك الإخبارية والكلامية الجدلية والعرفانية الصوفية والمسالك التلفيقية في مباحثها العقائدية.

فتدريس المنهج العقلي والفلسفة الإسلامية لا يقل أهمية عن تدريس علم أصول الفقه الشريف، فإن علم الفقه كما يحتاج إلى صناعة لتنقيح حجية الأدلة الفقهية، بحيث يجوز الاستناد عليها في مقام استنباط الأحكام الشرعية، وذلك إنما يتم في علم أصول الفقه، فكذلك قد مسّت الحاجة أيضاً ـ بحكم العقل الضروري ـ إلى وجود صناعة تنقح أدلة استنباط المعارف العقائدية، وذلك أمر ضروري لتحصين العقائد من الانحراف.

فإننا نرى أن علم الفقه بقي مصوناً ومحفوظاً عن أي تحريف ببركة علم أصول الفقه وقوانينه المنضبطة والمتينة، في حين تفشت البدع والخرافات في العقائد الإسلامية لغياب الميزان العقائدي، بعد إقصاء العلوم العقلية الشريفة عن ساحة التعليم الديني، وهيمنة الظنون والأوهام الكلامية والخرافات الصوفية على العقول والنفوس.

الخامس: ينبغي على جميع المدارس والاتجاهات الفكرية المختلفة، وقبل أن يطرحوا عقائدهم وأفكارهم على الملأ العام، أن ينقّحوا مبانيهم المعرفية التي انطلقوا منها وبنوا عليها عقائدهم وأفكارهم أولاً، من خلال البحث العلمي المكتوب أو المناظرات والندوات العلمية والحوارات الفكرية الهادئة، بعيداً عن أجواء التشنج والعصبية والمهاترات اللفظية، التي تنافي المنطق العقلي والآداب الإسلامية الصريحة،فطالب الحقيقة لا يخشى من البحث والمناظرة ولا يتجنب الحوار، ولا يلجأ

إلى الافتراءات والمهاترات، لأن ذلك جهد العاجز وسبيل الجاهل، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها.

وإلى هنا نكون قد وصلنا إلى نهاية البحث،ونتمنى على كبار المسؤولين التعليميين والتربويين أن يأخذوا تلك التوصيات على مأخذ الجد،وإن ينهضوا لإصلاح النظام التعليمي والتربوي في مدارسنا وجامعاتنا،من أجل النهوض بأمتنا العربية والإسلامية والتحرر من نير التبعية الثقافية والسياسية

هوامش البحث

١ -كتاب النجاة ج٢ ص١٧-١٨ .

٢- اصول المعرفة والمنهج العقلي ص٤٢.

٣- موسوعة الفلسفة ج١ ص٩٨،

٤- المراد من المقتضي ما به شانية وقابيلة واستعداد وامكان صدور الاثر او حصول الفعل من المؤثر او الفاعل كما في النار مثلا فان النار لها قابلية الاحراق ولها شأنية الاحراق ولها استعداد لذلك وان لم يصدر منها وكذا من الممكن صدور الاحراق منها فهذه التعبيرات وان تعددت فانها تشير الى معنى الاقتضاء ،وكذا مثل الانسان والتعلم فان الانسان له ما به قابلية التعلم ومن شأنه التعلم وله استعداد للتعلم وله امكان ان يكون متعلما وان لم يصدر منه ذلك .

واما الشرط فالمراد به ما يجب تحصيله لتحقق المقتضي على نحو الفعلية كشرط التماس بين الورقة والنار لتحقق الاحتراق وكسعي الانسان بالمطالعة والدرس والتدريس لتحقق العلم .

وليعلم ان وجود المقتضي وتحقق الشرط لا يلزمه وقوع الفعل وتحققه خارجا بل لابد من مراعات امر اخر و هو عدم وجود المانع من تحقق الفعل كالرطوبة في الورقة المانعة من احتراقها او المرض العارض المانع من الحفظ والتعلم او الانشغال بمشاغل او مشاكل غير العلم المانعة من تحصيله ،وهذه الامور مجموعا هي ما يعبر عنها بالعلة التامة وكل واحد منها يسمى بجزء العلة .

٥- كتاب العين، ج١، ص ١٥٩، والجوهري، الصحاح، ج٥، ص ١٧٦٩، وابن منظور، لسان العرب ج١١، ص٤٥٨-٤٥٩.

٦- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاج٣ص٢٣٢

٧- رسائل الكندي ص١٦٥

٨- الفارابي، عيون المسائل، ص٦٤

٩-ابن سينا، رسائل في أحوال النفس، ص١٦٨

١٠- نفس الشفاء ص٢٣٥

١١-نفس المصدر ص٢٨٦

١٢-تهافت الفلاسفة ص٢٨٧

١٣- أصول المعرفة والمنهج العقلي ص١٤٣-١٥٧.

١٤- لا يتوهم في المقام ان الخطأ الناتج من البرهان نفسه من حيث هو برهان والا لما امكن فرض عصمته بل الخطأ انما هو ناجم من سوء استعمال البرهان .

١٥-أن للفعل الاختياري مبادئ قبل تحققه حاصلها أربع ،قال الشيخ الطوسي في شرحه على الإشارات والتنبيهات "و اعلم أن لهذه الحركات مبادي أربعة مترتبة أبعدها عن الحركات هو القوة المدركة و هي الخيال أو الوهم في الحيوان و العقل العلمي بتوسطهما في الإنسان و تليها قوة الشوق فإنها تنبعث عن القوى المدركة و تنشعب إلى شوق نحو طلب إنما ينبعث عن إدراك الملائمة في الشيء اللذيذ أو النافع إدراكا مطابقا أو غير مطابق و تسمى شهوة و إلى شوق نحو دفع و غلبة إنما تنبعث عن إدراك منافاة في الشيء المكروه و الضار و تسمى غضبا و مغايرة هذه القوة للقوى المدركة ظاهرة و كما أن الرئيس في القوى المدركة الحيوانية هو الوهم فالرئيس في المحركة هو هذه القوة و يليها الإجماع و هو العزم الذي ينجزم بعد التردد في الفعل و الترك و هو المسمى بالإرادة و الكراهة"الإشارات والتنبيهات ج٢ ص٤٧٣.

١٦-تاريخ الفلسفة الحديثة ص٤٧

١٧- كتاب النفس من الشفاءص٢٨٨

١٨-الأسفار الأربعة ص٢٠

١٩- تاريخ الفلسفة الحديثة ص٤٩

٢٠ -تحصيل السعادة ص٥٥

٢١- تحصيل السعادة ص٥٧

٢٤- إلهيات الشفاء ص12

قائمة المصادر و المراجع

١ - كتاب النجاة ،ابن سينا ج٢ ص١٧-١٨،تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة،ط الأولى١٤١٢هـ

٢- الإشارات والتنبيهات، لأبي علي بن سينا، مع شرح: نصير الدين الطوسي، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف، ط٣، :ج٢، ص٣٦٧

٣- عبد الرحمن بدوي ،موسوعة الفلسفة ،عبد الرحمن بدوي، ج١ ص

٤-كتاب العين،الخليل الفراهيدي، ج١، ص ١٥٩، والجوهري، الصحاح، ج٥، ص ١٧٦٩، وابن منظور، لسان العرب ج١١، ص٤٥.

٥- كتاب النجاة،ابن سينا،.

٦- رسائل الكندي،عبد الرحمن بدوي،دار الأندلس، بيروت،طبعة ثالثة،١٠٨٣.

٧- رسائل إخوان الصفا،مكتب الإعلام الإسلامي،قم،١٤٠٥.

٨-رسائل أحوال النفس،ابن سينا،

٩- إلهيات الشفاء،ابن سينا،مؤسسة ذوي القربى،قم،طبعة ثانية،١٤٢٨

١٠- نفس الشفاء،ابن سينا، تحقيق حسن زادة املي،مكتب الإعلام الإسلامي،ايران،طبعة أولى،١٤١٧

١١- تهافت الفلاسفة،الغزالي،دار الكتب العلمية،بيروتن٢٠٠٢

١٢- تاريخ الفلسفة الحديثة،يوسف كرم،دار المعارف،طبعة خامسة،القاهرة،١٩٨٦.

١٣- تحصيل السعادة،الفارابي،تحقيق جعفر آال ياسين،دار الأندلس،بيرت،طبعة ثانية،١٩٨٣

١٤- الأسفار الأربعة،صدر الدين الشيرازي،بنياد حكمت صدرا،قم،طبعة أولي،١٣٨٢.

١٥- أصول المعرفة والمنهج العقلي،أيمن المصري،المركز الثقافي العربي،الطبعة الأولى،٢٠١٠